سينما

حوار بين مخرجة وصديقتها في «واصلة»

اعترافٌ ذاتي في فيلمٍ قاسٍ وصادق

تروي رين رزّوق في «واصلة» حكاية صديقتها في فيلم يتجوّل في روح وذات وذاكرة ومدينة، لرصد راهن لا يزال يعاني أهوال حرب ومخدّرات ومصائب

نديم جرجوره

جهدٌ يُبذل أعواماً عدّة، والنتيجة مُثيرة لمتعة مُشاهدةٍ، رغم قسوة النصّ السينمائي ومضمونه ومعالجته. هذا فعلٌ للبنانية رين رزّوق، «واصلة (Hyphen)»، المعروض للمرّة الأولى في الدورة الـ13 (28 إبريل/نيسان . 4 مايو/ أيار 2023) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)». فيلمٌ مُصوّر في عشرة أعوام (2011 . 2021)، والحوار بين المخرجة ونيكول، قريبتها وصديقتها وجارتها سنين مديدة، يعكس جوانب حادّة من رحلتين تتناقض إحداهما مع الأخرى، فالثانية خروجٌ من جحيم تغرق فيه نيكول، والجحيم مفتوحٌ على كلّ خراب ممكن.

والحوار مفتوحٌ على تساؤلات وخيبات وآلام ورغبات، بعضها معطوبٌ بسبب فشل في تحقيقه، وبعضٌ آخر يكاد يتعطّل، فنيكول غير مانحة رين، دائماً، إنجازاً كاملاً لما تريده. لكنّ النتيجة فيلمٌ (98 دقيقة، 2023) مشغول بدقّة منقّب عن كنز أو آثار، وفي رحلتي نيكول ما يُثير هاجساً سينمائياً في رين، التي تعثر فيهما على الأهمّ من كنز وآثار: حكايةٌ عن شابتين (نيكول ورين)، وعن أهلٍ وحرب سابقةٍ على سلم أهلي مخادع ونَاقص، وعن إدمان على مخدرات متنوّعة، تكتشف نيكول لاحقاً أنّ فعلها هذا غير صانع لها سعادة: «أفعل كلّ شيء، لكنّي غير قادرة على أنْ أكون مبسوطة (سعيدة). لا أعرف. لم أقدر على أنْ أكون مبسوطة، ولم أعرف لماذا»، تقول في بدايةٍ لاحقة على أحد أجمل المَشاهد: جسد امرأة في مياه، وحركاتٌ قليلة لها توحي كأنّها راغبةٌ في ولادة جديدة.

لنيكول قولٌ إضافي يُكمِل اعترافاً كهذا، ويُحدِّد عنواناً أصلياً لرحلتيها القاسيتين: «(حينها) معتقدةٌ أنّي لا أتأثّر بمشاكل أهلي، أو بشيء». فالعلاقة بالأهل غير متشابهة البتة في مشاعر نيكول، والحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990) فاعلةٌ في حياة وعيش: «مؤكّد أنّ للأهل تأثيراً كبيراً، شئنا أم أبينا، في حياة أولادهم. (وهذا بسبب) المجتمع والخلفية الخاصة بهم». كلامٌ كهذا ردٌّ على سؤال رين لها إنْ تشعر أنّها «ضحية مجتمع أو تربية»، ونيكول غير راغبةٍ في اعتبار نفسها ضحية أصلاً، مع أنّها تختار تعبيراً آخر، ربما يكون الأقرب إليها: «أنا ضحية قرارات اتّخذتها»، قبل أنْ تقول، بالإنكليزية، إنّها ضحية Bad Decisions.

لقطات عدّة تكشف خضوع نيكول لعلاج، غير سهل البتّة. تمارين النوم في المياه، ولهذا النوع من العلاج، بإشراف ديانا فرحات، تعبيرٌ يعكس الفعل الجوهري له: الولادة الجديدة، أو المولود الجديد. لقطات ترافق دقائق عدّة منه، يطغى فيها صمتٌ مع موسيقى (كريم خنيصر، مُصمّم الصوت أيضاً)، توحي برقّةٍ، فتُضيف جمالاً على معنى الحاصل أمام الكاميرا. كأنّ الجميع (نيكول وديانا ورين والمُشاهدون، وربما العاملون والعاملات في صُنع الفيلم أيضاً) يتشاركون أصعب اللحظات وأعنفها. إذْ إنّ التخلّص من إدمانٍ شبيهٌ للغاية بتلك الولادة المطلوبة والموعودة، وإنْ تُخشَى عودة إليه لاحقاً، ونيكول تعترف أنّ التعاطي بعد العلاج نادرٌ، فرغبتها في بدء حياة جديدة قوية وواضحة.

ما تفعله رين رزّوق غير متوقّف عند نيكول، فلها (رين) حضورٌ آخر غير ظهورها بين حين وآخر، أو سماع أسئلتها وتعليقاتها غالباً. فالفيلم اغتسالٌ لها أيضاً، والبداية تقول إنّها غير عارفةٍ بإدمان قريبتها وصديقتها وجارتها سنين مديدة. تنشغل رين بذاتها أيضاً، وذاتها غير منفصلةٍ عن سيرة نيكول في رحلتيها. حضور المخرجة لن يحول دون سرد نيكول حكايتها، والحكاية غير ذاتية فقط، رغم أنّ الذاتيّ فيها طاغٍ. لكنْ، يستحيل فصل الذاتيّ عن العام في بلدٍ، أعطابه المُصاب بها بعد النهاية المزعومة لتلك الحرب الأهلية (21 عاماً عند بدء التصوير) أخطر وأشرس من تلك الحاصلة في حربه. الذاتيّ مفتوحٌ على أهل (رغم غضب دفين إزاء أهلها، تُظهر نيكول في لحظات عدُّة حبّاً وعاطفة وتبريرات) وبلدٍ وتاريخ واجتماع، كما على راهنٍ، يتميّز جحيمه بعنصرية وذكورية واهتراءٍ وعفن.

في «واصلة» المشارك في الدورة الخامسة (3 . 11 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان عمّان السينمائي الدولي . أول فيلم»، تكشف رين رزّوق قدرة رائعة على التحكّم بما لديها من أسئلة وهواجس، ومن مادة بصرية، وابتكار مشاهد، مع أنّ عشرة أعوام (مدّة التصوير) غير سهلةٍ في اشتغال كهذا، وبعد التصوير أشهرٌ طويلة من تحويل المُصوَّر إلى فيلم. كاميرا (راشيل نوجا وطلال خوري) تُرافقهما في أزقّة ومركز تأهيل، كما في روح وانفعالٍ وقهر، وسفرٌ إلى الهند تتكفّل نيكول بتصوير تفاصيل منه، وعنها أيضاً. زيارة إلى مركز التأهيل (أم النور)، تتجوّل نيكول في غرفه وفضاءاته، كما في ذكرياتها وأحوالها هناك. أمكنةٌ ضيّقة تختارها رين، كأنّها تقول إنّ في الرحلتين ضيقٌ. عودة إلى منزل أهل، وصوت أبٍ يُسمع، لكنّ الذي يُسمع أكثر، وإنْ بصوت نيكول غالباً، يقول أزمنة وانكسارات وتشوّهات، مع أنّ في الراهن توقٌ إلى الما بعد.

هذا قليلٌ من معاينة «واصلة (Hyphen)»، ومُشاهدته مرّتين لن تفشي كلّ ما فيه، وهذا كثيرٌ وقاسٍ وحقيقي.

> صوت أزمنة وانكسارات وتشوّهات وراهن يتوق إلى الما بعد

نيكول ورين رزّوق في «واصلة»: بوحٌ يفضح ذاتاً وبلداً وعيشاً
(الملف الصحافي)

عن كتابةٍ سينمائية في زمن الإبادة

أي وحشٍ ينقضّ على متعٍ مؤقّتة؟

أمرٌ ما غير حاصلٍ في بلدٍ غير واضح مصيره. هذا مُتعِبٌ للغاية. فعيش اليوميّ من دون تفكير بالتالي عليه مُفيدٌ في حياةٍ سوية، لكنّه يُثير متاعب في النفس والروح، وربما الجسد أيضاً، عندما تتعطّل الأمور الحياتية كلّها، ويتفشّى خرابٌ، والفضاء مفتوحٌ لعدوّ غير آبهٍ بشيء.

المهنة متطلّبة، وهذا معروف ومُكرّر، وغير مزعج البتّة. كتابةٌ وتحرير مقالات وأخبار، واختيار صُور لهذا كلّه، عادي ولذيذ. لكنّ هذا كلّه يعاني قلقاً، فجدار الصوت يُزلزل مدينةٍ معطوبة أصلاً، ووحشية العدوّ معروفة، مع أنّ العدوّ نفسه يتفوّق على ذاته في القتل والتدمير، بل في الإبادة. انتظار موتٍ أمرٌ بديهي، فالموت قدرٌ لا مفرّ منه. مع هذا، لن يحول الانتظار دون عيشٍ واختراع فرح ومتع، إنْ يكن البلد آمناً، والحياة فيه عادية.

الإبادة في غزّة طاغيةٌ، وعدم المشاهدة اليومية غير مانعةٍ متابعة عبر وسائل أخرى. اختيار فيلمٍ أو مسألة سينمائيين لكتابةٍ، تسعى إلى تحليلٍ ونقاش مع الذات أولاً حولهما، يُصاب غالباً بمحيطٍ غارقٍ في الدم والغبار، أو في لامبالاة جماعية خانقة إزاء ما يجري في المحيط، بل إزاء الخراب المعتمل في البلد. أي فيلمٍ يُمكن أنْ يُمتّع أحداً، والانهيار يُضيّق مساحات العيش؟ أي مسألة يذهب الناقد فيها إلى أعمق وأبعد ما فيها، إنْ يشتدّ الخناق، والتنفّس يُهلك جسداً وروحاً، مع أنّه معنيّ بإنعاشهما؟

ثم يُعلن نبأ وفاة عامل أو عاملةٍ في السينما، هنا وهناك، فتُصبح الكتابة واجباً أكثر من أي شيءٍ آخر. كيف يُكتب في رحيلٍ، والموت يوميّ إلى حدّ أنّ كثيرين وكثيرات غير مكترثين وغير منتبهين؟ ما معنى كتابةٍ ترثي أو تودّع، والموت ناشطٌ في أمكنةٍ ومناخاتٍ وعلاقات؟ كيف تُناقَش سيرة راحل . راحلة، في مهنة وحياة وأفعال، وما يُحيط بمن يُفترض به أنْ يناقش مُصابٌ بأمراض غير قابلة لشفاء؟ من يقرأ هذا كلّه أصلاً؟ ولماذا يقرأه؟ وما الفائدة من كتابته وقراءته؟ أي فراغ هذا؟ أي وحشٍ ينقضّ على من يُعلن فرحاً، ولو مؤقّتاً، بفيلمٍ ساحر رغم قسوة ما يرويه ويصفه ويعاينه؟ أي تنينٍ يخرج من كلّ الجهات، فتتحوّل متعةٌ بسيطة إلى قهرٍ وانكفاء؟

هذا ليس تنظيراً أو تباهياً بكتابةٍ تريد أنْ تكون سينمائية، فتنشقّ السماء عن أصواتٍ تقول إنّ كلّ شيءٍ منتهٍ، ولا خلاص من جحيم بلدٍ ومحيطٍ. محاولة لجوءٍ إلى فيسبوك مثلاً، لابتعادٍ قليلٍ عن كتابة وقلق، تُحبَط، فالمكتوب في فيسبوك أسوأ بكثير، غالباً، من الحاصل في بلدٍ ومحيط. سخريةٌ غير مُضحكةٍ، أحياناً كثيرة، وشتائم تتلاءم وسلوك واقعي. حجّة الأولى عجزٌ عن فعلٍ مُفيد في الواقع، والسخرية ملاذٌ، أياً يكن شكلها أو مضمونها. لا حجّة للثانية، لأنّها منبثقةٌ من تربية وثقافة تبلغان حدّاً لا يُحتمَل من البؤس.

أمّا الصالة، فعتمتها غير متلائمةٍ أبداً مع معنى الطقس السينمائي، لأنّها عتمة نفوس وأرواح قاتمة. الانزواء في منزلٍ راحةٌ مقبولة. لكن الوحدة خانقة، وإنْ يكن هناك كتابٌ يُقرأ، أو مجلةٌ تُتصفّح، أو فيلمٌ يُشاهَد، أو شاشةٌ صغيرة تُسلّي، إنْ يبتعد المنزوي في منزله عن أخبار. أمّا الحانات، فمليئة بتوترات وانشقاقات، مع أنّ الضحكات عاليةٌ إلى حدّ التصنّع، والمتعة الحقيقية نادرةٌ. أمّا الأزقّة القليلة، ففارغةٌ، مع أنّ زحمةً تضجّ بها تلك الأزقة، نهاراً أكثر منه ليلاً، من دون نفع.

مؤكّدٌ أنّ في زاويةٍ ما خلاصٌ ما. أنّ كتاباً أو مجلة أو فيلماً أو شاشة صغيرة أو حانة ملجأ ما. الخوف كلّ الخوف أنْ ينقضّ الوحش رفقة التنين على تلك الزاوية، في وقتٍ ما.

نديم...

بيروت 2020: خرابٌ وإنْ يكن أقلّ من الحاصل في محيطٍ (فضل عيتاني/Getty)

> إنّها عتمة نفوس وأرواح قاتمة لا عتمة صالات مُحبَّبة

أفلام جديدة

■ The Union لجوليان فارينو، تمثيل هالي بيري (Getty)، ومارك ولبيرغ وجي. كاي. سيمونس ودانا ديلاني: مايك عامل بناء من نيوجيرسي، واقعيّ للغاية. ذات وقت، يجد نفسه في عالم الجواسيس، عندما تستأجره روكسان، صديقته السابقة في المدرسة الثانوية، لتنفيذ مهمة خطرة للغاية، لصالح جهاز استخباراتي أميركي (المنصة الأميركية «نتفليكس»).

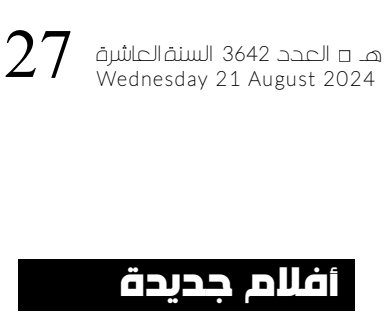

■ The Beautiful Game لتيا شارّوك (Getty)، تمثيل بيل نيغي ومايكل وورد وكيت يونغ: Mal (المفردة بالفرنسية تُترجم عربياً إلى الشرّ، لكنّه هنا اسم عَلَم) مدير فريق إنكلترا لكرة القدم الخاص بالمشرّدين في إنكلترا. ذات مرّة، يسافر مع لاعبيه إلى روما، على أمل أنْ يُتوَّجوا أبطالاً في كأس العالم للمشرّدين. لتحقيق هذا، يُقرّر التعاون مع لاعب مهاجم يُمكن أنْ يمنحهم فرصةً شبه أكيدة للفوز.

■ Maria لبابلو لارّان، تمثيل أنجلينا جولي وفاليريا غولينو (Getty)، وهالوك بيلجينر وكودي سميت. ماكّفي: لم تعد ماريا طفلةً، لكنها لم تبلغ سنّاً يُتيح لها التحكّم الفعلي بأمورها بعد، عندما شاركت في بطولة «التانغو الأخير في باريس» (1972)، للإيطالي برناردو برتولوتشي، مع مارلون براندو. بفضله، أصبحت مشهورة، بل «ممثلة أيقونية»، كما وُصفت حينها. مع هذا، فهي لم تكن مستعدة للشهرة، وللفضيحة المعروفة للغاية (يُذكر أنّ هناك فيلماً جديداً آخر بعنوان «ماريا» أيضاً لجيسيكا بالو).

■ Five Blind Dates لشوان سيت، تمثيل شويانغ هو (Getty)، ويوسون آن وروب كولنز: رغم عدم بلوغها نهاية عشرينياتها، تشعر ليا بأنّها باتت في طريق مسدود. فالمقهى الذي ورثته عن جدّتها يعاني صعوبات كبيرة متنوّعة الجوانب، واحتمال الذهاب إلى حفلة زفاف شقيقتها الصغيرة من دون شخص يُرافقها بعيدٌ كلّ البعد عن سحرها. فما الذي يُمكنها أنْ تفعله لتنقذ نفسها من هذا كلّه؟

■ How To Date Billy Walsh لألكس بيلاي، تمثيل دايزي جيلاي (WireImage) وسيباستيان كروفت وتانْر بوكانان وشاريثْرا شانْدران: كانت أميليا وأرتشي أفضل الأصدقاء منذ الطفولة. لكنْ، في زمنٍ لاحق، ستتعطّل هذه العلاقة. الصداقة، بعد وصول طالب أميركي جديد إلى مدرستهما، يُدعى بيلي والش. هذا كافٍ لخلق تحدّيات بينهما، أبرزها معنى الصداقة والحبّ والعلاقة.